

حكاية زرقاء اليمامة

تحكى الأساطير العربية أن زرقاء اليمامة هو اللقب الذى أطلق على فتاة شابة ، نشأت فى منطقة اليمامة بالميمن ، وكانت تتميز بحدة البصر ، ورؤية الأشياء من على بعد كبير.أما وصف زرقاء فيبدو أنه جاء من لون عينيها ، أو بسبب قوتها البالغة فى الإبصار .وبالطبع كان أهل القبيلة يستفيدون من رؤيتها للأشياء من بعيد ، ولما شك أنهم كانوا يندهشون ويتندرون أحيانا على تلك المظاهرة المتفردة ، حتى جاء يوم صعبت فيه زرقاء اليمامة على تل وشاهدت أثر الغبار الذى تثيره سنايك الخيل فى الصحراء ، فنزلت وأخبرت قبيلتها بضرورة الاستعداد للدفاع ضد هجوم وشيك قادم إليهم ، لكن حكماء القبيلة الذين بيدهم الأمر لم يعطوا كلامها أهمية ، ولابد أنهم اعتبروا ذلك نوعا من التجاوز فى استخدام موهبتها ، ومن المؤكد أن أحدا منهم أقنع المبالق لآن بأنه لا يجوز إعلان الاستنفار العام لمجرد كلام فتاة لا أهمية لها .وهنا مربط الفرس كما يقول العرب أنفسهم . فإهمال أى ملاحظة تتعلق بأمر خطير قد يؤدى إلى عواقب وخيمة .

عموما ، فقد زامت قبيلة زرقاء اليمامة فى تلك الليلة مطمئنة ، واستغرقت فى أحلامها اللذيذة ، أما الفتاة فلابد أن نتخيل مدى الغضب والإحباط لعدم الاستجابة لملاحظتها ، ومن المؤكد أنها تعرضت للأرق ، ولم تستطع النوم نتيجة لعدم الإصغاء إلى نصيححتها ، وقلقها الشديد على نفسها وأسررتها وقومها .المهم قيل أن يبرزغ الفجر كان الهجوم الكاسح من القبيلة المعادية قد حدث على القبيلة ، وفوجئ الجميع — ما عدا زرقاء اليمامة طبعاً — بحرق الخيام ، وقتل الرجال ، وسبى النساء والأطفال .. وفى هذه الحالة علينا أن نتساءل : أين راح أولئك الحكماء فى القبيلة الذين رفضوا رؤية زرقاء اليمامة ؟

لم تحدثنا الحكاية عن أى واحد منهم ، وتركنا لنا المنطقة فارغة لكى نستخلص منها العبرة ، وهى أن المجتمع الناصح هو الذى يوازن بين الآراء ، ويتخير منها المصالح ، دون أن يضيع الوقت فى مهاترات،أو يندفع إلى رفض الآراء الجديدة لمجرد العناد وعدم التبصر لعواقب الأمور !